النشاط الثقافي في الوطن العربي

من مراسلي «الآداب»

تونس

رسالة من محمد بلحسن

مهرجانات الصيف

سنة حميدة تلك التي سنتها وزارة الشؤون الثقافية باقامتها للمهرجانات الثقافية الصيفية التي تحرص على ان تجمع بين التثقيف والتسلية . فما ان يوشك الموسم الثقافي الشتائي على النهاية حتى تشحذ العزائم وتتضافر الجهود لتنظيم المهرجانات الثقافية المتنوعة الخاصة بالصيف بتنسيق واشراف وزارة الثقافة . وكل عام يتم اعداد سلسلة من العروض الفنية بالانشطة الثقافية والترفيهية الشيقة . وقد جمعت كل مظاهر الثقافة الفنية التونسية والمجلوبة من الخارج ، من القديم والحديث ، الكلاسيكي منها والطلائعي ، ولشتى ضروب الفن من التمثيل الى الموسيقى ومن الفنون الشعبية الى الغناء ومن الرقص الجماعي الى الجاز .. وكل هذه المهرجانات يتم تنظيمها بكامل ولايات الجمهورية التونسية ، وهذا من مزايا اللامركزية التي تتوخاها الوزارة من اجل النهوض بكل الولايات وتنشيط الحركة الثقافية في كل المدن وتمكين جميع السكان من مشاهدة هذه العروض الترفيهية لتجديد الطاقة في الانسان التونسي وتنشيطه .

ومهرجانات هذا الصيف تميزت بميزات عديدة يمكن حصرها في ثلاث نقط :

١ ـ التنويع في مختلف ضروب الثقافة والاشكال الفنية من مسرح وموسيقى ورقص وسينما الى جانب اقامة معارض للكتب والفنون التشكيلية .

٢ ـ تعميم اللامركزية في تنظيم هذه المهرجانات لتمكين كل سكان البلاد من المشاركة في النشاط الثقافي وتمكين الجميع من مشاهدة العروض الثقافية والاستفادة منها .

٣ ـ الاسعار التي ضبطت حسب اعتبارات خاصة في سياسة النشر الثقافي لتمكين اكبر عدد ممكن من الجمهور من الاقبال على هذه المهرجانات . اذ الهدف المقصود هو الاتصال بالجماهير وايصال الانتاج الثقافي والفني حيث تكون التجمعات البشرية .

وهناك سنة طيبة سنها مهرجان الحمامات وتتمثل في وجوب افتتاح المهرجان في كل عام بمسرحية تونسية جديدة تاليفا وتمثيلا واخراجا . وفي هذا العام افتتح المهرجان بمسرحية جديدة بعنوان (الزنج) تاليف عزالدين المدني واخراج المنصف السويسي ، وهي عبارة عن ديوان مسرحي جمع بين الحوار والشعر والانشاد والموسيقى والرقص .. قال عنها مؤلفها :

(ـ الزنج ـ استئناف لمسرحية ـ ثورة صاحب الحمار ـ استئنافا لمعالجة قضايا الثورة في العالم الثالث . اذ هي تسجل وتصور وتلاحظ بعض الثورات التي جدت منذ مؤتمر باندونغ في العالم الثالث وتقع احداثها بعد التحرير واثر انتصاب مجلس الثورة الحاكم المطلق في البلاد لمواصلة محاربة المستعمر ولبناء صرح الثورة . وهي تعالج قضية علاقة الدول الفقيرة بالدول الثرية وتصور الصراع القائم والمحتم بين دول فقيرة تملك المواد الخام التي قد لا تعود عليها بالفائدة وبين دول ثرية تملك الصناعة التي تهيمن بها على العالم . والزنج في مستوى ثالث تلاحظ البون الشاسع بين ثقافتين وحضارتين .. الاولى تقول بانها اصيلة ذات طابع خاص ولها مميزات جوهرية والثانية تقول بانها كونية قد استوعبت في صلبها جميع الثقافات والحضارات الاجنبية عنها وحصرتها في ثقافة لها مقومات عالمية .

وديوان ـ الزنج ـ شبه تاريخي ، يعتمد التاريخ ولا يتقيد به . فالماضي هو تعلة لتبيان الحاضر ، والحاضر هو ضوء وهاج على الماضي والحق دائما للحاضر على الماضي .. تجري الاحداث في المنتصف الثاني من القرن الثالث للهجرة . في سباخ البصرة التي عمتها الانهار والآجام والمستنقعات . فنحن نشاهد عملة السباخ الارقاء يكسحون الملح تحت وهج الشمس ولسع السياط وفي حال الضنى والجوع والوباء والظما وهؤلاء هم أرقاء تجار البصرة التي كانت من أهم موانئ العراق . فهي على النهر ، وعلى البحر ، وعلى طريق التجار .. وتثور ثائرة الارقاء بزعامة علي بن محمد وجمع من صحبه . يشترون حريتهم وينظمون الجيوش ويقاتلون العباسيين ويحرقون البصرة . وذات يوم بينما كان مجلس ثورة الزنج منعقدا اذ اقبل عليهم وفد عباسي يطلب الصلح ويعترف باستقلال منطقة السباخ . فيتصالح المجلس مع الدولة العباسية ويتفاهم الوفد العباسي مع علي بن محمد ويتفقان على بيع جميع انتاج الملح الى الخلافة دون غيرها من الدول ، وعلى قرض ، واعانة لبناء مدينة ـ الزنج ـ وبعد حول يقبل سفير الخلافة العباسية لاتمام الصفقة ، واذا به يلاحظ ان انتاج الملح قد تدهور وان المدينة لم تبن وان القرض بدد فيقدم اتفاقا آخر ينص على اعانة مالية تضاعف الفائض ، الا ان احد اعضاء المجلس لا يتفق مع بقية المجلس ويطالب بمواصلة الحرب حتى لا يظل الزنج تحت رحمة العباسيين ، فيعارضه علي بن محمد وينشق المجلس الى معارض ومؤيد وتنشب الخلافات ، ويبين الشق المعارض انه لا فائدة في التعاون مع العباسيين بينما يقول علي بن محمد ان نتعاون مع اعدائنا من اجل بناء المدينة وينذر القوم الذين مالوا الى التآمر المعارض بان هناك أمرين . اما استئناف القتال واما بناء المدينة) .

واثر العرض الاول لهذه المسرحية عبّر الاستاذ الشاذلي القليبي وزير الثقافة عن اعجابه بالعمل النظيف الذي قدمه المؤلف والمخرج وكوكبة الممثلين ، هذا العمل الذي جاء مشرفا للجميع وقال الوزير :

« هذه المسرحية هي في طليعة المسرح العربي الطلائعي من حيث النص والاخراج والديكور والازياء . ولا تعتبر محاولة تجديد جدية على نطاق المسرح العربي فحسب بل كذلك على مستوى المسرح العالمي الذي لا يمكن الا ان يتعزز بمثل هذه المجهودات التي بذلها المدني والسويسي معا » .

وهذا استعراض مختصر لابرز مهرجانات صيف هذا العام :

مهرجان قرطاج : ينتظم كل سنة في المسرح الاثري الروماني المشرف على شاطيء البحر الابيض المتوسط بمدينة قرطاج ذات التاريخ القديم والتي كانت ملتقى حضارات اثينا وروما والقيروان وبغداد وقرطبة ، واحتوى على عروض مسرحية تونسية واجنبية وحفلات موسيقية وغنائية وعلى الرقص بنوعيه الشعبي والكلاسيكي .

مهرجان الحمامات : يقام كل سنة على المسرح المكشوف الصيفي وهو نصف دائري الشكل يتسع لتسعمئة متفرج على شاطيء البحر بالمركز الثقافي الدولي بمدينة الحمامات ، واشتمل على عروض مسرحية وفنية . وكالعادة في كل عام افتتح المهرجان بمسرحية تونسية تاليفا واخراجا وهي مسرحية ـ الزنج ـ تاليف عزالدين المدني اخراج المنصف السويسي تمثيل فرقة مدينة الكاف.

مهرجان المسرح المغربي : ينتظم على نطاق اقطار المغرب العربي مرة كل سنتين بمدينة المنستير . واحتوى على ما يلي :

ـ عرضت تونس مسرحية ـ الزنج ـ

ـ عرضت الجزائر مسرحية ـ صاحب الحذاء المطاط ـ تاليف كاتب ياسين اخراج مصطفى كاتب .

ـ عرض المغرب مسرحية ـ القاضي في الحلقة ـ تاليف الطيب العلج اخراج عبد اللطيف الاشراوي .

ـ مناقشة هذه العروض ونقدها بحضور المؤلفين والمخرجين والمهتمين بشؤون المسرح .

ـ ندوة حول (الخلق المسرحي والانتاج المشترك) بمشاركة رجال المسرح من الاقطار الثلاثة

مهرجان المالوف : اعتنت وزارة الثقافة بفن المالوف باعتباره تراثا ينمي في الفرد الشعور بقوميته العربية والاعتزاز بماضي الاجداد. وهو ينتظم سنويا في مدينة تستور ذات الطابع المعماري الاندلسي بمشاركة كل الفرق المختصة بهذا الفن .

مهرجان دقة : تواصل اسبوعا كاملا واحتوى على عروض مسرحية بالمسرح الاثري ببلدة دقة ذلك الاثر التونسي الذي كان يحفل بالثقافة قبل الاسلام وبعده .

مهرجان المرجان : يحتفل به في مدينة طبرقة المشهورة بانتاج المرجان وهو انتاج بحري يتم صيده في المنطقة عن طريق صيادين مختصين في الصيد في الاعماق . وهذا المهرجان اختص بالموسيقى العربية والتفتح على التيارات الموسيقية العربية فقط وشارك فيه هذه السنة شلة من المطربين اللبنانيين والمصريين .

الى غير ذلك من المهرجانات المختلفة كمهرجان الفروسية ومهرجان الادب الشعبي ومهرجان مسرح الهواة ومهرجان سينما الهواة ومهرجان يوفرطا للبحوث الاثرية . وكل هذا الغذاء الروحي الذي توفره الثقافة الى جانب الكتاب والوسائل السمعية والبصرية تسعى الى نوعية الجماهير بتقديم ثقافة ديناميكية تجمع بين مقتضيات الاصالة الحضارية والتفتح على التيارات العالمية .

تونس — محمد بلحسن

العراق

رسالة من ماجد السامرائي

تأملات في واقعنا الثقافي

كلما فكرت بالكتابة عن الواقع الثقافي الراهن في العراق احسست بالصعوبة والحراجة معا ... الصعوبة من كون هذا «الواقع» متسعا ، وكبيرا ، ومختلطا .. والكتابة عنه تتطلب استقصاء دقيقا لكل معطياته ، وما تنطوي عليه ، او تفصح عن اختلاطات غريبة ، تتراوح بين الابداع والضحالة .. بين الاصالة والفجاجة .. وبين الجدية واللعب .. وهي مهمة غير يسيرة .. ولكي يكون بالمستطاع تشخيص كل هذه المسارات ـ على تناقضها وتضادها ـ يكون لزاما على من يتصدى لمهمة كهذه مراجعة أطنان غير قليلة من « الورق المطبوع » !

.. اما الحراجة فهي من كون من سأتصدى لهم ، واسميهم باسمائهم ، لاعطيهم حجمهم الحقيقي ، اناسا أعيش معهم ، بشكل أو بآخر : في العمل . في المقهى . في اتحاد الادباء .. أو تربطني بهم علاقات اجتماعية . ومعنى هذا انني سأضرب هذه العلاقات ، معرضا نفسي الى اكثر من مسالة ، لا أشك في انني سأتلقاها منهم .. وهو امر درج على سلوكه اغلب من يمارسون الكتابة اليوم . فحين تقوّم شخصا ما من منظار فني ، فكأنك تقومه اجتماعيا ، أو شخصيا ..وان الاشارة الى ناحية سلبية في نتاجه كأنما هي اشارة الى ناحية سلبية في شخصه . وهذا ان دل على شيء فانما يدل على احد امرين: اما النقص الثقافي ، ومحدودية النظر ... أو الروح العشائرية التي نجدها اليوم متركزة على هذا النحو في نفوس « المثقفين » ..

على انني ، وبالرغم من كل هذه « التحفظات الشخصية »سأقول كلمتي .. وقد تكون هذه الكلمة « مصابة » بشيء من التعميم .. الا انه ، والحالة هذه ، تعميم لا بد منه .. ولا اعتقده غير مجد .

اعود فاقول انه من الصعب استقراء هذا الواقع استقراء حقيقيا ، وكاملا لمن أراد ذلك .. فهو واقع كبير .. متسع .. كثير الحركة وكثير الاختلاط .. ومليء بالفوضى و « النفاق الاجتماعي ».والفوضى التي هي أبرز ميزاته سببها الادباء والمثقفون انفسهم ، الذين أجدهم لا يستسلمون لحركة منتظمة ، ولا يخضعون حياتهم ـ الفكرية والفنية ـ لضابط ابداعي ، ينظم هذه الحركة ، ويخلق محورها ، ويدفع بعطائها الى الواقع للتأثير فيه ، على نحو أو آخر ... فكيف اصبح الامر كذلك ؟

.. لكي تكون الاجابة قريبة من الواقع ، لا بد من القول ان جيلا جديدا يبدأ اليوم ، في مختلف حقول الثقافة والفن .. وهو جيل لم يمتلك بعد كل مقومات الوقوف على الارض .. اضافة الى انه جيل اغلبه مليء بالغرور غير المبرر ، والادعاء ، والرفض الذي لا يقوم على أسس واضحة . ويخيل الي" اننا لو كنا في اطار وضع آخر ، لاصبح من السهل جدا سحب الارض من تحت اقدام هذا الجيل ..

.. هذا الجيل يحاول ان يمسك العصر بكلتا يديه .. ولكنهما لا تقويان على ذلك .. ويعمل على أن يسخر حركة الزمن لارادته ، وكل عدته طموح كبير ، ولكنه طموح لا يتوازن مع القدرات والامكانات التي توفر عليها حتى الآن . وهو في كل ذلك يحاول ، ومن خلال عطاءاته ذات الرصيد المحدود ، أن يكتسب « هويته الجديدة » التي يريد لها أن تتأطر باطار وعيه الخاص .. وان كنت لا اشك بتوفر هذا الوعي عند ابناء هذا الجيل ، فانا أشك في امكانية تحويل هذا « الوعي » الى أعمال فنية تمنحه التفوق والامتياز في عصره الذي ما يزال يتحرك ويتنفس بكثير من الخمول ..

ان القضية مهمة .. ولكي نكون مخلصين لا بد من البحث عن اسبابها ومسبباتها ..

وقبل التعرض الى ذلك ، لا بد من تقرير بعض الحقائق التي هي ، بلا شك ، مهمة في موضوع كهذا ..

ـ ان هذا الجيل يرفض كل المفاهيم المتخلفة .. وهو ثوروي في اغلبه ، من حيث نظريته السياسية والاجتماعية .. ومن هنا فهو طموح باستمرار لان يفصح عن طاقاته الابداعية الجديدة التي ترفض الكثير ، ولا تؤسس الا القليل ، والقليل جدا الذي لا يمكن ان يعد بديلا للمرفوض . وهو يحس بحاجة العصر ، وانسان العصر الى طاقات جديدة في التعبير . ومن هنا « الحس البياني » الجديد لدى البعض ..

ـ ان هذا الجيل وجد الارض ممهدة ، سواء في الشعر او

القصة ، أو في بقية فنون الكتابة .. فهي لم تكن معه كما كانت مع سابقه ـ جيل الرواد ـ مليئة باحتمالات الفشل . كما ان آفاق المعرفة مفتوحة امامه اكبر بكثير جدا مما كانت مع سابقه الذي ارسى الكثير من الاسس الفنية ، والموضوعية في هذا الفن أو ذاك .

ـ ثم ان الوضع المادي لاغلب ابناء هذا الجيل ، ان لم نقل كلهم ، جيد نسبيا .. والكتاب متوفر له .. وليس هناك من حجر على الفكر يمارس من قبل انسلطة ..وظروف الحياة ليست اصعب من الظروف التي تعرض اليها سابقه ، بأي حال .

ـ صحيح ان هناك اشكالا ، وهو عدم وجود الناشر .. وان النشر على حساب المؤلف مسألة معرضة للخسارة اكثر من احتمال الربح ، او حتى تسديد نفقات الطبع ... غير ان هذا يبدو اليوم سهلا للكثيرين ممن « غامروا » بنشر اكثر من مجموعة ، بين شعر ، وقصة ، ورواية.

ـ امام هذا .. كيف ننتظر ان تكون الصورة ؟..
انها ، على كل حال ، ليست كما نتوقع ، للاسف .

يعمد البعض اليوم الى تصوير المسألة بانها « ركود في الجو الادبي » .. وهو طرح كما ينطوي على المغالطة ، والتهرب من مواجهة المشكلة ، او الازمة ، فهو يفصح عن عدم الجرأة في تسمية الاشياء بأسمائها الحقيقية . فالمسألة ليست مسألة « ركود في الجو الادبي ».. فهنا اليوم من المجلات الثقافية ـ سواء منها الصادرة عن وزارة الاعلام ، او اتحاد الادباء ، او الاشخاص والمنظمات ـ ما يفوق حاجة القطر .. بل وما يتجاوز حدود الامكانات القادرة على ملء صفحاتها عن جدارة .. (مع الاحتفاظ هنا برأينا في اكثر ما تقدمه هذه المجلات ، وبمستواها الفني ، والفكري ، والثقافي) .. اضافة الى الصحافة اليومية ، والاسبوعية ، والتي تستوعب الشيء الكثير مما يكتب ..

من هنا تبدو المغالطة في الطرح ، والابتعاد عن ملامسة صميم المشكلة . فالركود غائب ، وانما يوجد اليوم نقيضه .. انما العلة تكمن في هذا الذي يسمى « العقل المنتج »، وفي « نوعية النتاج »، وماهيته، والرصيد الذي يشكله في الحركة الادبية المعاصرة ، في ضوء ما اصابت من تطورات ، سواء في بعض اقطار الوطن العربي ، او العالم ... ومن هذه النقطة بالذات يجب ان ينفجر النقاش .. ومن هذا المنطلق تبدأ معالجة المشكلة ... الا ان هناك ـ كما أسلفت ـ تهربا من « مواجهة النفس » ، و « مواجهة الاخرين » ، على حد سواء .. كما ان هناك عدم رغبة من الكثيرين في كشف حساب الربح والخسارة.. وهي عملية تستر ، ومهادنة رخيصة ، وخداع للنفس وللاخرين ، بآن معا .. وتزييف للحقيقة لا اعتقد ان التاريخ ـ والتاريخ القريب ـ سيقف منها موقف الرحمة .

واذا كان لكل عصر ادبي شخصياته .. ولكل مرحلة سماتها التي تتميز بها ، وروحية يعلن ذلك العصر وهذه المرحلة من خلالها عن اشيائها ، لتكون الوجه الذي يتقدم باتجاه حركة الزمن والتاريخ .. فان هذا العصر ـ والمرحلة جزء منه ـ يبدو ، وعلى صعيد نتاجات كثيرة ، مسخا ، لا معالم واضحة له ، ضائعا في زحمة التأثر المباشر ، والنسخ البليد ، لاهثا وراء الشمس ، ولكنه غير قادر على الامساك بأقرب خيوطها اليه ، رغم النشيث .

وهذا الجيل ، كمتشبث بعرى المستقبل ، اذ يدين من يسميهم « الرجعيين » ، او « السلفيين » ، او « الجامدين المتخلفين » ، فيصمهم بعدم مواكبة العصر ، وبالتخلف عن مسيرته ـ وهي ادانة نتفق معه عليها ـ ، فانه يجب ، وبالمقابل ، ان يقدم ما يمكن ان يكون « النقيض » او « البديل » ، لا من حيث الشكل حسب ، وانما في تأكيد المضمون الذي يواجه الانسان الجديد بحقائق وجوده ، باشكال ومضامين تثبت شرعية كونها وليدة عصر هائل ، وكبير ، ومزدحم ..

يبدو ان « جيل الرواد » قد حقق هذا ..

فالسياب كان مدهشا ، وجديدا على نطاق الشعر .. وظل مدهشا حتى بعد موته .. وكان البياتي مدهشا ايضا .. ويظل اليوم احدى العلامات المهمة في الشعر بفعل تأكيده لوجوده في زمن ينطور ، ويتطور هو معه ، متابعا حركته . وقراءة دقيقة لقصائده الجديدة (نتاج عام ١٩٧٢) تؤكد هذا بكل وضوح . كذلك نجد بلند الحيدري ، وسعدي يوسف ، وحسب الشيخ جعفر ..

وفي النقد نجد جبرا ابراهيم جبرا ذلك الخلاق ، المبدع ، كواحد من ابرز وجوه الحركة النقدية العربية المعاصره ..

.. كل هذا نابع من كون هذه الاسماء ، واخرى سواها ، ولكن على مستوى اقل ، تعي مسؤوليتها التاريخية ، والفنية والفكرية تجاه عصرها .. كما تحترم جوهر عملها .. وان لها من وعيها لكتاباتها ، كممارسة ابداعية ، ما يؤهلها اليوم وغدا لان تظل عناصر متوقدة .

ولكن الجيل الجديد يرفض الكثير من قيم هذا الجيل ، ان لم يكن رفضه يشملها كلها .. وحين يكون الامر كذلك ، فاننا يجب ان نتعامل مع هذا الجيل تعاملا مبنيا على اساس واضح ، وهو محاولة تبين حجمه الحقيقي ، ومدى ما قدم من اضافات يمكن ان تكون البديل لهذا الرفض .

والحقيقة ان التردد هو اول مسألة تواجهنا ونحن بسبيل اطلاق اي حكم نهائي ، او يمكن ان يعتبر نهائيا بشأنه ، ان سلبا ، او ايجابا .. لانه ، في معظم وجوهه ، لا يفصح عن قيم فنية او فكرية واضحة ، ولانه ايضا يبدو وكأنه في مرحلة تكون ، وتبلور .. ولا ندري كم سيمتد به الزمن .. واجدني اشك ، بالنسبة للبعض ، في مسألة الوصول الى تحقيق القيم الفنية التي تؤكد سمات وملامح واضحة لهذه الشخصيات ..

هذا الرأي ينسحب على الشعر والقصة ، على حد سواء .. وان كنا نجد انفسنا ملزمين ببعض الاستثناءات .. فهناك وجوه جديدة ـ وفي القصة بالاخص ـ تبشر بما يمكن ان يكون ثقة وتعاولا .. واذا استمرت في مثل هذا التصاعد في عطائها ، والذي تتأكد عبره سمات شخصية تبحث عن تفردها ، فسيكون لها شأن في مسيرة هذا الفن ..

لا اريد الابتعاد عن الموضوع .. ولكنه مدخل لا بد منه ، لاقول : ان المشكلة ليست مشكلة ركود في الجو الادبي .. وانما هي ركود في الذهنية الادبية .. بحيث ان آفاق الكثيرين محدودة . وقراءة اولى لعديد من النتاجات ، سواء مما تنشره الصحف والمجلات ، او ما صدر منه في هيئة كتب ، تجعلنا نخرج بنتيجة ، أو بجملة نتائج ، بعضها موضوعي (فيما يختص بفكر الكاتب) ، وبعضها الاخر فني (يتعلق بالجوهر الشكلي والمضموني) ، وبعضها مناف من عوامل خارجية ، ان يكن بعضها مفروضا على الكاتب ، فان بامكانه ان يعي المسألة الاهم ، وهي حماية نفسه من تأثيراته السلبيه ..

فمما هو موضوعي ، يبدو لنا اغلب كتابنا ـ شعراء ، وقصاصين ، ونقدة ـ غير مثقفين كما يجب . وهذا « التقصير الثقافي » ، والذي هو امر ذاتي ، يشكل عقبة كبيرة في طريق تطور الكثيرين ، وفي عدم بلوغهم المرحلة التي يقدمون فيها الدهش ، والجديد ، الذي يؤكد اننا امام اعمال تلقي بجذورها الى ارض المستقبل . هذا بالرغم من الظروف المادية الجيدة للكثيرين ، بحيث لا يوجد هناك ما يمكن ان يحول ـ عن فعل وحقيقة ـ بينهم وبين الصلة بآخر ما يصدر من كتب، تفتح لها السوق العراقية ذراعيها ، لستقبلها من كل مكان ..

اما الجانب الفني (الشكلي والمضموني) ، فهو يظهر مسألتين مهمتين : عدم استقرار ، او حتى تبلور الشخصية الفنية للكثيرين .. وعدم وضوح الموقف الذي يصدر عنه الفنان ، او يتبناه منطلقا ..

.. ومن هنا تبدو الكثير من النتاجات الفنية وكأنها تخوض مرحلة « تجريب شكلي » ، وبحث عن رؤيا مضمونية . غير ان هذا الشكل ، وهذا المضمون كلاهما يفتقر الى التقنية .. وكلاهما يعاني من الاختلاط الشيء الكثير . وهذا الاختلاط ناتج عن سوء التعامل مع النماذج التي توصلت الى نوع من الاستقرار ، واكدت ملامحها ، والتي هي بالنسبة للجيل الجديد بمثابة « المعلم المرفوض » ! ... وهذا ذاته ما يصل بنا الى استنتاج مهم ، وهو ان الشخصية الفنية لكثيرين من الشباب غير مستقرة ، او بالاحرى لا يوجد ما يمكن ان يكون بنيانا داخليا لها، يحفظ لها تماسكها ، ويقيها مما يمتد اليها من تأثيرات مباشرة ..

.. ثم ان هذا « التلقي » الساذج لتجارب الاخرين ـ ونؤكد هنا على تلقيهم تجربة ادونيس ، وبعض تجارب الشعر العالمي ـ لا يكون تلقيا يعقبه تمثل .. وانما هو تلق مباشر ، ساذج ، يحتكم الى نفس الشروط ، ليكون النغم من خلال اصابع الاخرين .. بمعنى اوضح : انهم الصدى .. وفرق جوهري بين الصوت والصدى ، وبين المقلد والمقلد.

اما « العوامل الخارجية » ، فهي متأتية من اسفاف الكثيرين ، وركضهم اللاهث وراء الكسب المادي ، والكتابة المكثرة للاذاعة ، والصحافة .. الكتابة كيفما اتفق ، وعن اي شيء كان : من السياسة الى الحب ، الى معالجة مشاكل يومية ساذجة .. الى التمثيلية الاذاعية ، والبرنامج ، الى تمجيد الذات ، الى الادب ، حتى « ازمة الواقع العربي بعد ٥ حزيران » !!؟ ..

.. كل هذا يحصل .. ويحصل جراءه انحطاط في الذهنية الادبية يقود بالتالي الى « التبجح » السيىء الذي يحاول البعض ان يجعله « عصمة » له من السقوط الذي يعانيه داخليا .. فيشغل نفسه والاخرين بمسائل فوقية ، وعرضية ، وتافهة ايضا ، ليؤكد انه «موجود» .. ولكن اي وجود بائس هذا ؟..

.. ويكون تساؤلنا هنا مشروعا ، ومبررا : ترى من المسؤول عن كل هذا ؟

ـ لعل المسؤولية هنا يتقاسمها اثنان : الاديب ، والصحافة الادبية . وبما ان حديثنا قد اقتصر على الاديب ، فاننا لا نجد الا الافرار بحقيقة الصحافة الادبية ، والمجلات الثقافية . فهي لم تستطع تأدية دورها كما يجب . ذلك انها ، وفي الكثير من نماذجها ، « صحافة هامش » ، تتلهى بالتعليق القصير ، والمقالة المبتسرة ، والفكرة العابرة. اما المجلات « الثقافية » ، فهي مجلات أشتات من المقالات ، والقصص الرديئة ، والقصائد التي لو قرعت لاحدثت رنينا ، والمترجمات .. وكلها لا تلتقي على شيء .. كما لا تستهدف شيئا ، ولا تضيف اية اضافة الى ضمير العصر . هذا بجانب كونها « مجلات بلا هوية » ، تتخبط في تيارات كثيرة ، تجد كل شيء الا نفسها .. والكثير مما تنشره يأتي وهو مشحون بالاخطاء النحوية ، واللغوية ، بالاضافة الى الاخطاء الاسلوبية ، والفكرية . فكيف ننتظر ، والحالة هذه ، ان تكون مجلات كهذه ذات فاعلية في واقع ينقصه التنظيم ؟

ازاء هذا .. الا تجدون معي اننا بحاجة الى ان نستخدم عقولنا في التفكير ، لا عواطفنا ؟.. الى ان نفجر قدراتها في المجالات الحقيقية لها ؟.. فأدبنا اليوم لم يعط بعد ذلك النموذج الفني الذي يعبر عن هذا « البعث الحضاري » الذي نحياه ، ونمر به .. كما لم يعبر بعد ذلك التعبير الدقيق عن هذا « القلق المصيري » الذي هو اخطر مرحلة من مراحل حياة الانسان العربي ...

.. وحتى يكون لنا ذلك ، علينا ان نتساءل : من نحن ؟ واين نقف؟ وفي اي زمن نعيش ؟ والى اين نحن سائرون ؟..

.. ولن تكون الاجابة عن هذه الاسئلة حقيقية ما لم تتوفر على وعي شروط الحاضر والمستقبل .. وعلى وعي حقيقتنا ايضا .. وهو ما ادعو اليه ..

بغداد

ماجد صالح السامرائي

ماركيوز أو فلسفة الطريق المسدود

تأليف محمود أمين العالم

يعتقد المؤلف ، وهو واحد من كبار المثقفين التقدميين العرب ، ان الفكر العربي المعاصر فكر مأزوم لانه يفتقد النظرية العلمية الواضحة والخبرة العملية المتنامية . و « في سعينا المأزوم الى الوضوح الفكري، الى التحرر الوطني والاجتماعي ، الى الوحدة القومية ، كانت تطل علينا بين الآن والآخر صيحات تزعم في نبراتها العالية نبوة الخلاص . على انها لم تكن تفعل شيئا غير ان تضاعف من محنتنا ومن ازمتنا ... برجسون .. سارتر والوجودية ... الوضعية المنطقية والبرجماتية ... واخيرا تطل علينا الماركيوزية لتقدم نبوءة جديدة للحرية (...) ولكنها في الحقيقة تسعى لتطمس الوعي الصحيح بحقائق حياتنا ووقائع عصرنا ، وتدفع بفكرنا ونضالنا الى ما أزعم انه طريق مسدود . »

وهكذا يكون هذا الكتاب ادانة كاملة لفكر ماركوز، وهذه الادانة قائمة على دراسة لآثار ماركوز ومواقفه. وكما سبق لدار الآداب ان قدمت بعض آثار ماركوز للقارىء العربي ، من غير ان يعني ذلك بالضرورة تبنيها لهذا الفكر ، فانها تقدم اليوم نقدا لهذا الفكر بقلم مفكر عربي ماركسي ، من غير ان يعني ذلك بالضرورة ايضا انها تقر وجهة نظره ، هذه الوجهة التي هي قابلة حتما للنقاش .

يصدر قريبا